

وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سَدُومَ. مِيلًا إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَيَبْتًا وَاغْسِلًا أَرْجُلُكُمَا، يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَقْدِمَ مِقَارِنَهُ بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي الْأَصْحَاحِ السَّابِقِ عَنْ اسْتِضَافَةِ إِبْرَاهِيمَ لِلرَّبِّ وَمَلَائِكَهُ وَمَا وَرَدَ هُنَا عَنْ اسْتِضَافَةِ لُوطٍ لِلْمَلَائِكِينَ: أَوَّلًا: كَانَ إِبْرَاهِيمُ ذَا نَفْسٍ كَبِيرَةٍ تَأْهَلُ بِالْإِيمَانِ الْحَيِّ أَنْ يَسْتَضِيفَ كَلِمَةَ اللَّهِ وَمَلَائِكَهُ وَقَتَ الظَّهِيرَةِ وَكَأَنَّهُ بَرَجَالُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِينَ اتَّقَوْا مَعَ الْمَخْلُصِ عِنْدَ الصَّلِيبِ (وَقَتَ الظَّهِيرَةِ) لِيَرَوْا السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً وَالْمَصَالِحَةَ قَدْ تَمَّتْ بَيْنَ الْأَرْضِيِّينَ وَالسَّمَائِيِّينَ، وَأَمَّا لُوطٌ فَبِضْعَفِ إِيْمَانِهِ وَلَيْسَ بِعَدَمِ إِيْمَانِهِ بِالْكَادِ التَّقَى بِهِ مَلَائِكَانِ وَقَتَ الْمَسَاءِ لِيُخْلَصَاهُ مِنَ الدَّمَارِ الَّذِي كَانَ يَلْحَقُ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا مَسْكَنًا لَهُ وَلِعَائِلَتِهِ. إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا لِلُوطِ أَنْ يَحْصَلَ عَلَى مَلَأِ نَوْرِ الظَّهِيرَةِ، أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ قَادِرًا عَلَى التَّمَتُّعِ بِبَهَاءِ النُّورِ. لَاحِظُوا بِالنِّسْبَةِ لِإِبْرَاهِيمَ جَاءَ الرَّبُّ مَعَ الْمَلَائِكِينَ أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلُوطِ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا مَلَائِكَانِ. اقْتَبَسَ الْأَبُ قَيْصَرِيوسُ بَعْضَ عِبَارَاتِ الْعَلَامَةِ أَوْريْجَانُوسِ كَعَادَتِهِ، أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَقِفَ فِي كِمَالِ الْبَهَاءِ (296)]. وَفِي تَعْلِيلِ الْقَدِيسِ يوحَنَّا الذَّهَبِيِّ الْفَمِ عَنْ اسْتِضَافَةِ لُوطٍ لِلْمَلَائِكِينَ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلُوطِ فَجَاءَ الرِّجَالَانِ وَوَقَفَا فِي الطَّرِيقِ. يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ بِأَنَّ الرَّبَّ وَمَلَائِكَهُ وَفَقَا لَدَى إِبْرَاهِيمَ بِجَوَارِ خِيَمَتِهِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلُوطِ فَالْتَقَوْا بِهِ وَهُوَ جَالِسٌ "فِي بَابِ سَدُومَ" أَيَّ فِي مَدْخَلِ الْمَدِينَةِ. لَيْتُنَا نَكُونُ كَأَبْنَاءِ إِبْرَاهِيمَ نَتَأَهَّلُ أَنْ نَلْتَقِيَ بِالرَّبِّ وَطُعْمَاتِهِ لَا عِنْدَ مَدْخَلِ الْمَدِينَةِ كَلُوطِ، ثَالِثًا: شَتَانٌ مَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطِ، أَمَّا الثَّانِي فَقَدْ أُلْحَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ جَدًّا وَإِذْ كَانَا يَرِيدَانِ أَنْ يَبْنِيَا فِي السَّاحَةِ أَيَّ الْمِيدَانِ الْعَامِ كَغَرِيبَيْنِ لَيْسَ لِهَمَا مِنْ يَسْتَضِيفُهُمَا قَبْلًا أَنْ يَمِيلَا إِلَيْهِ وَيَدْخُلَا بَيْتَهُ [2-3]. أَمَّا الْلِقَاءُ مَعَ لُوطِ فَانْتَهَى بِالْكَادِ بِخُلَاصِ لُوطِ وَابْنَتَيْهِ دُونَ زَوْجَتِهِ. أَمَّا لُوطُ فَكَانَ يَتَوَسَّلُ لِأَجْلِ نَفْسِهِ وَابْنَتَيْهِ لَعَلَّهُ يَسْمَحُ لِهَمَا الْمَلَائِكَانِ بِالسَّكْنِ فِي مَدِينَةِ صُوغَرَ. لِأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلَا تَحْتَ ظِلِّ سَفْفِي». 11 وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمَا بِالْعَمَى، صُورَةٌ تَكْشِفُ عَنْ مَدَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الشَّعْبُ كُلُّهُ مِنْ نَجَاسَةٍ مَعَ جَسَارَةٍ مَرَّةً، حَاولَ لُوطُ أَنْ يَحْمِيَ ضَيْفَهُ فَطَلَبَ أَنْ يَخْرُجَ لَهُمْ ابْنَتَيْهِ يَفْعَلُونَ بِهِمَا مَا يَشَاءُونَ، رُبَّمَا لِأَجْلِ تَخْجِيلِهِمْ. وَضَرَبَا الرِّجَالِ الْوَاقِفِينَ بِالْعَمَى فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ. أَمَّا الثَّانِي فَيَدْخُلُ فِي صِرَاحٍ مَرَّ وَضِيقٍ وَيَعْرِضُ طَاقَاتِهِ وَمَوَاهِبَهُ (الْبَتْنَانِ) لِلْفَسَادِ، الْأَوَّلُ جَلْبَ لَجْسِهِ - سَارَةً - ضَحْكًَا أَوْ فَرْحًا رُوحِيًّا فِي الرَّبِّ، فَإِنَّهُ فَعَلَ هَذَا بَعْدَمَا قَالَ: "أَنْزِلْ وَأَرَى" (تَك 18: 21)، وَالْآنَ إِذْ جَاءَ الْمَلَائِكَانِ وَأَسَاءَ الشَّعْبُ التَّصَرُّفَ مَعَهُمَا لَمْ يَعْذِرَا لَهُمَا عِزْرًا 3. إِيقَازَ لُوطِ وَعَائِلَتِهِ: 16 وَلَمَّا تَوَانَى، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. أَعْلَنَ الْمَلَائِكَانِ خُطَّةَ اللَّهِ الْخُلَاصِيَّةَ وَطَلَبَا مِنْ لُوطِ أَنْ يَخْرُجَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ وَبَنَاتُهُ وَأَصْهَارُهُ، كَانَ يُمْكِنُ لِأَصْهَارِهِ أَنْ يَخْلُصُوا حَتَّى فِي اللَّحْظَاتِ الْآخِرَةِ لَكِنَّهُ فِي كُلِّ جِيلٍ يَرَى الْأَشْرَارَ فِي إِنْذَارَاتِ اللَّهِ هَزَلًا وَمَزَاجًا، لَقَدْ طَلَبَ الْمَلَائِكَانِ مِنْ لُوطِ أَنْ يَهْرَبَ إِلَى الْجَبَلِ، وَقَدْ كَانَ اسْمُهَا قَبْلًا "بَالَعٌ"، لَكِنْ لُوطًا فَقَدْ فِي هَذَا الْكَثِيرِ! اللَّهُ يَرِيدُنَا أَنْ نَهْرَبَ إِلَى الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ، لِنَرْفَعَ بِرُوحِهِ الْقُدُّوسِ إِلَى الْقَمَمِ الْعَالِيَةِ، وَنَحْنُ فِي ضَعْفِنَا نَكْتَفِي بِصُوغَرَ! يَتَحَدَّثُ الْقَدِيسُ جِيرومُ عَنْ صُوغَرَ الَّتِي اخْتَارَهَا لُوطُ لِنَفْسِهِ، لَعَلَّ الْقَدِيسَ جِيرومُ قَدْ تَأَثَّرَ بِكَلِمَاتِ الْعَلَامَةِ أَوْريْجَانُوسِ فِي عِظَتِهِ الْخَامِسَةِ عَلَى سَفَرِ التَّكْوِينِ: [لَمْ يَكُنْ لُوطُ قَادِرًا قَطُّ عَلَى السَّكْنِ فِي الْمَرْتَفَعَاتِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ]. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التَّمَثَالَ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا" (دَا 2: 34، يَظْهَرُ هُنَا سِرُّ التَّثْلِيثِ بِالْقَوْلِ: "أَمْطَرَ الرَّبُّ. "وَنَظَرْتُ امْرَأَتَهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ" [26]. فِيمَا يَلِي بَعْضَ تَعْلِيلَاتِ الْآبَاءِ عَنْ امْرَأَةِ لُوطِ: لِنَرْفَعَ أَعْيُنَنَا إِلَى السَّمَاءِ لَثَلَا تَخْدَعُنَا الْأَرْضُ بِمِبَاهِجِهَا وَبِاغْرَاءَاتِهَا. بِالْأَمْسِ تَمَتَّعَ إِبْرَاهِيمُ بِاسْتِضَافَةِ الرَّبِّ وَمَلَائِكَهُ وَنَالَ وَعْدًا بِإِنْجَابِ ابْنِ، الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ الشَّفَاعَةِ عَنْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَفِي شَفَاعَتِهِ التَّزَمَ بِالْجَانِبِ الْمَوْضُوعِيِّ فَلَمْ يَشْفَعْ عَنْ أَقْرَبَائِهِ "وَلُوطِ وَعَائِلَتِهِ" بَلْ عَنِ الدَّائِرَةِ كُلِّهَا. نَذْكُرُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ نَفْسَ يَوْسُفَ الْعَبْدِ الشَّابِّ، "وَكَانَ بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ" (تَك 39: 5). إِنَّهَا لَيْسَتْ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ فِي ذَاتِهِ وَلَا يَوْسُفَ فِي ذَاتِهِ إِنَّمَا هِيَ بَرَكَةُ الرَّبِّ الَّتِي تَمَلَأُ الْقَلْبَ! لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. 38 وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، يَسْدُلُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ آخِرَ فِصْلٍ عَنْ حَيَاةِ لُوطِ بِحَدِّثٍ مُؤَلَّمٍ لِلْغَايَةِ، فَقَدْ اخْتَارَ سَدُومَ مَسْكَنًا لَهُ فَشَرِبَتْ بَنَاتُهُ مِنْ أَهْلِهَا رُوحَ الشَّرِّ. وَقَدْ حَاولَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ تَقْدِيمَ الْأَعْذَارِ لِهَاتَيْنِ الْابْنَتَيْنِ مِنْهُمَا أَنَّهُمَا رَأَتَا الْعَالَمَ كُلَّهُ - فِي نَظَرِهِمَا - يَحْتَرِقُ، فَلَا عِلَاجَ لِلْمَوْقِفِ إِلَّا بِإِنْجَابِهَا نَسْلًا مِنْ أَبِيهِمَا حَتَّى تَنْقُذَا الْعَالَمَ مِنَ الْفَنَاءِ. \* خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَبْقَى بِغَيْرِ ثَمَرٍ وَلَا نَصِيرَ أُمَهَاتٍ بِطَرِيقَةٍ كَهَذِهِ! الَّذِينَ يَسِيئُونَ اسْتِخْدَامَهُ فَيَنْجَبُونَ الْمَوَاطِينَ الَّذِينَ يَرْمِزُونَ لِلْأَعْمَالِ الشَّرِيرَةِ. الْقَدِيسُ أَغُسْطِينُوسُ (304) الْقَدِيسُ جِيرومُ (305) أَمَّا امْرَأَتُهُ فَتَشِيرُ إِلَى الْجَسَدِ الْمَرْتَدِّ إِلَى الْوَرَاءِ بِسَبَبِ الشَّهَوَاتِ،